

أضواء البيان

@ 259 المذكورة هنا . وذلك في قوله تعالى : { إِنْ زَمَّ مَا أَلْمُؤْمُونَ الَّذِينَ }
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ } . وأمره في موضع آخر أن يبشر الصابرين
على ما أصابهم مع بيان بعض ما بشروا به ، وذلك في قوله تعالى : { وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ } . .
واعلم : أن وجل القلوب عند ذكر الله أي خوفها من الله عند سماع ذكره لا ينافي ما ذكره جل
وعلا ، من أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله كما في قوله تعالى : { الَّذِينَ
آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } ووجه الجمع بين الثناء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذكره
جل وعلا ، مع الثناء عليهم بالطمأنينة بذكره ، والخوف والطمأنينة متنافيان هو ما
أوضحناه في كتابنا : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، وهو أن الطمأنينة بذكر الله
تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد ، وصدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
فطمأنينتهم بذلك قوية لأنها لم تنطرقها الشكوك ، ولا الشبه والوجل عند ذكر الله تعالى يكون
بسبب خوف الزيف عن الهدى ، وعدم تقبل الأعمال ، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم {
رَبِّزْنَا لَا تُزْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا } وقال تعالى : { وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَالًا تَرْتَوْا وَوَقُلُوبُهُمْ وَجِلَّةٌ أَنْزَلْنَاهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاغِبُونَ
{ تَقَشَّعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ
تَلَيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) . .
قوله تعالى : { فَكُلُوا مِن ذَهَابٍ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ } . قد
قدمنا أنه تعالى أمر بالأكل من بهيمة الأنعام : وهي الإبل والبقر والغنم بأنواعها
الثمانية ، وأمر بإطعام البائس الفقير منها . وأمر بالأكل من البدن وإطعام القانع
والمعتر منها ، وما كان من الإبل ، فهو من البدن بلا خلاف . .
واختلفوا في البقرة ، هل هي بدنة ، وقد قدمنا الحديث الصحيح : أن البقرة من البدن ،
وقدمنا أيضاً ما يدل على أنها غير بدنة ، وأظهرهما أنها من البدن ، وللعلماء في تفسير
القانع والمعتر أقوال متعددة متقاربة أظهرها عندي : أن القانع هو الطامع الذي يسأل أن

يعطى من اللحم ومنه قول الشماخ : واختلفوا في البقرة ، هل هي بدنة ، وقد قدمنا الحديث الصحيح : أن البقرة من البدن ، وقدما أيضاً ما يدل على أنها غير بدنة ، وأظهرهما أنها من البدن ، وللعلماء في تفسير القانع والمعتز أقوال متعددة متقاربة أظهرها عندي : أن القانع هو الطامع الذي يسأل أن يعطى من اللحم ومنه قول الشماخ : % (لمال المرء يصلحه فيغني % مفاقره أعف من القنوع) %